بسم الله الرحمن الرحيم

عرض تحت عنوان:

ابن غازي المكناسي
و جهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف.

من إنجاز الطالب:

عبد الحميد عماري.

تحت إشراف الدكتور:

محمد زين العابدين رستم

تقـديـم:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على رسوله الأمين و على صحبه الغر الميامين و آله الطاهرين، و بعد:

إن مما استقرت عليه أصول ديننا الإسلامي الحنيف اعتبار السنة النبوية المصدر الثاني للدين بعد القرآن الكريم، و من هذه النظرة اهتم المسلمون بسنة النبي الكريم صلى الله عليه و سلم اهتماما كبيرا، فملئت لذلك المكتبات الإسلامية بعلوم الحديث دراية و رواية وتخريجا و شرحا و استنباطا و تعليلا و نقدا. و انتشرت هذه العلوم في مشارق الأرض و مغاربها، فحيث كان الإسلام كان للحديث و علومه حضور.

و قد كان لبلاد المغرب الإسلامي حظ وافر في خدمة هذا العلم و الاهتمام به، و إن عرف ذلك تأخرا خصوصا على مستوى إنتاج العلوم و المؤلفات المرتبطة بعلم الحديث، إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن المغاربة عموما استطاعوا في كثير من الأحيان أن يأخذوا المشعل و يسهموا بدورهم، و يتقدموا كما حدث لغيرهم إلى الواجهة خدمة لحديث النبي عليه الصلاة و السلام.

لكن مما يلفت انتباه الباحث الجاد الناظر في التراث المغربي الإسلامي قلة الاهتمام بهذا التراث و ضعف العناية به دراسة و بحثا . و لعل السبب الرئيسي في ذلك تلك الحمولة المعرفية التي توارثتها الأجيال، و مفادها أن المغرب الإسلامي لم يقم تاريخيا بأية وظيفة معرفية إلا تقليد غيره من العلماء المشارقة و الأندلسيين، اللهم بعض الاستثناءات كابن رشد و القاضي عياض و ابن خلدون...

و كان من تجليات هذا الإجحاف في حق أهل المغرب بخس حق أعلامه و علمائه و شيوخه في مختلف العلوم الشرعية و اللغوية و العقلية. و هو الأمر الذي أدى إلى طمس كثير من إسهاماتهم و مؤلفاتهم و أدوارهم في التاريخ الإسلامي في مراحله المختلفة.

و لا يمكن بحال أن ننكر أن تحقير إسهامات المغاربة و اعتبارهم أهل تقليد لا اجتهاد أو أهل فروع لا أصول، ليس رأيا محدثا بل هو رأي متقدم تاريخيا ساهم في تكريس هيمنة المشرق و أعلامه في مختلف العلوم الشرعية و متعلقاتها تكريسا جعل المغاربة مهضومي الحق. و بهذا تزداد أهمية الكشف عن ميراث المغاربة حتى نظهر زيف ما ادعاه بعضهم و تحاملهم و تعسفهم في حق الإرث الشرعي و العلمي و المعرفي الكبير الذي أنتجه المغاربة و ساهموا من خلاله في الدفع بالمعرفة الإسلامية الشرعية و مباحثها.

و لعل القائل بهذا القول من المحدثين ليس له عذر سوى أنه آثر تكرير ما قرره المتقدمون من حكم متهافت في حق المغاربة على أن يبحث و ينقب و يكتشف ما يزخر به هذا القسم من البلاد الإسلامية على مستوى العلوم و إسهاماته.

و كان علم الحديث رواية و دراية من بين أبرز العلوم التي أهملت إسهامات المغاربة فيه، فصار المعروف عند أهله أن المغرب ليس له صنعة في هذا العلم و أنه مقصور على بلاد المشرق و الأندلس، حتى أن الإمام الذهبي في القرن الثامن الهجري زعم أن دار المغرب ليست دار حديث، و أن رواية الحديث بها قليل[1]. و لعل مثل هذا القول يجعل الأمر جدا للكشف عن معالم الدرس الحديثي المغربي و عن أعلامه و شيوخه الذين أسهموا مساهمات كبيرة و جليلة خدمة لهذا العلم الشريف بشرف موضوعه و شرف صاحبه.

و في هذا السياق تم تكليفي من طرف أستاذي الكريم الأستاذ زين العابدين رستم بدراسة عَلَم من أعلام الدرس الحديثي بالمغرب الإسلامي و هو الإمام المحدث ابن غازي المكناسي العثماني، عنونت هذه الدراسة بالعنوان التالي " ابن غازي المكناسي و جهوده في خدمة الحديث النبوي" ، و قد عجبت أيما عجب و أنا أبحث في ما أثله هذا العالم من قيمته العلمية و قامته المعرفية و حجم الخصال التي اجتمعت فيه فجعلته رائدا و مبدعا في خدمة حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم في زمن الضعف و التشتت و الجهل الذي كان يسود واقع البلاد المغربية الإسلامية آنذاك.

و قد حاولت في هذه الدراسة المتواضعة أن أقف على ما يبرز هذه الشخصية في علم الحديث، رغم أن شهرته التي اشتهر بها في علم الفقه و علم القراءات قد غطت على إسهاماته و مؤلفاته في علم الحديث. و كان الأمر شاقا بحكم قلة ما كتب في هذا الباب. فتولدت الرغبة الجادة في تحقيق المراد فتناولت مؤلفاته بالدرس و العناية و البحث و الاستقراء باحثا و منقبا عن ما يبني البحث و يكمل مباحثه، متكئا على مختلف المراجع و المصادر القادرة على إغناء و إثراء المادة العلمية و تجويد مضمونها.

و قد عملت في هذا السياق على استحضار مختلف العناصر الأساسية التي ستحاول تقديم البحث في شكل منهجي و معرفي بنائي يدفع إلى إقناع القارئ بخلاصات و استنتاجات ما خرجنا به في بحثنا هذا.

و من هذا المنطلق ارتأيت أن أعالج موضوع هذا البحث من خلال تصميم شكّل زبدة الرؤية التي تكونت عندي لمعالجة الموضوع و تحقيق أهدافه، فكان التصميم التالي:

---

[1] يقول الإمام الحافظ الذهبي في كتابه الأمصار ذوات الآثار:" إقليم المغرب: فأدناه إقليم إفريقية، و أمها هي مدينة القيروان التي كان بها سحنون بن سعيد الفقيه، و أما بجاية و تلمسان و فاس و مراكش و غالب مدائن المغرب فالحديث بها قليل و بها مسائل". الأمصار ذوات الآثار، تحقيق قاسم علي سعيد، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1406-1986، ص 192.

1-في التعريف بابن غازي المكناسي.

1) حياته.

2) رحلته.

3) شيوخه.

4) تلامذته.

5) مؤلفاته.

6) مميزات عصره.

7) وفاته.

8) شهادات العلماء فيه.

2-مظاهر خدمة ابن غازي للحديث النبوي الشريف.

1) مؤلفاته في علم الحديث.

2) رواياته و مشايخه و أسانيده في الأحاديث النبوية و المرويات الحديثية.

3) معالم منهجه في دراية و رواية الحديث النبوي.

1-في التعريف بابن غازي المكناسي:

أ) حياته:

هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني[2]، المكناسي مولدا و المنشأ[3]، ولد سنة 841 هـ على الراجح[4] بمكناسة، و العثماني نسبة لبني عثمان أحد بطون كتامة الهبطية التي استقرت بمكناس منذ أجيال[5]، استوطن مدينة فاس و توفي بها.

نشأ ابن غازي حتى سن السابعة عشر بمكناسة و قرأ بها[6]، في بيت علم و فضل، حيث كان والده رحمه الله يسمعه و يحدثه من رواياته و يذكر له بعضا من الشيوخ الذين رآهم و سمع منهم[7]. و قد كانت أمه رحمة بنت محمد بن أحمد بن أبي عفيف الجنّان، التي تزوجت قبل أبيه الفقيه محمد بن عزوز الصنهاجي شيخ شيوخ ابن غازي الذي أخذ عن ابن مرزوق[8] فقيهة و عالمة، حيث ساهمت من خلال ما تلقته عن زوجها الأول في تعليم ابن غازي الكثير من الأحاديث و الأذكار في صغره كما ذكر هو في الروض الهتون[9]. فألم بعلوم الشريعة و اللغة العربية بالإضافة إلى علوم الحساب و الفلك و الهندسة، و هو الأمر التي تؤكدها أسماء و فنون الكتب التي ألفها ابن غازي.

ب) رحلته في طلب العلم:

كما هو ثابت فإن الرحلة في طلب العلم كانت الوسيلة التي يتم من خلالها تحصيل العلوم الشرعية. و لم يخرج ابن غازي عن هذه القاعدة حيث خرج مرتحلا لطلب العلم من مسقط رأسه بمكناسة باتجاه قبلة العلم بأرض المغرب آنذاك فاس و جامعها المعروف بالقرويين.

---

[2] توشيح الديباج للقرافي، مخطوطة بمكتبة باريس و تونس، ص 160.

[3] جذوة الانفاس، ج1، ص 320. و النبوغ المغربي في الأدب العربي، عبد الله كنون، بيروت، 1961م، ج1، ص 209.

[4] جذوة الاقتباس، ابن القاضي، الرباط، 1973م، ج2، ص 206.

[5] الروض الهتون في أخبار مكناسة و الزيتون، ابن غازي، الرباط، 1964م، ص 71. و أيضا مؤرخو الشرفاء، ص 154.

[6] الروض الهتون، ص 71.

[7] الروض الهتون، ص 59.

[8] رحل الزوج إلى المشرق و توفي في رحلته، و قد كان له أولاد من زوجته رحمة أم ابن غازي.

[9] الروض الهتون، ص 61، 62.

و قد فصل ابن غازي في التعريف برحلته حيث ذكر أنه رحل سنة 858 هـ باتجاه فاس و هو في عمر السابعة عشر بعد أن حصل مبادئ العلوم الشرعية بمكناسة، وذكر أنه سمع في رحلته إلى فاس من المزجلدي و ابن منديل المغيلي الذي لازم مجلسه بجامع القرويين. ليعود بعد رحلته هذه لمكناسة الزيتون و يتولى الخطابة فيها بالجامع الأعظم و يدرس و يقرئ فيها. و بقي بمكناسة إلى أن نفاه عنها الوالي الوطاسي فرحل يقصد المشرق، لكن أهل فاس استبقوه بها، فنزل بها سنة 891 هـ، ليتولى الخطابة و الإمامة بجامع القرويين من فاس[10].

ت) مشايخه و أساتذته:

تتلمذ ابن غازي على مجموعة من العلماء و الشيوخ و أخذ عنهم علوما جمة و كثيرة، و قد أكثر من الأخذ إما مشافهة أو مكاتبة عن كثير من علماء عصره من المغاربة و المشارقة ابتداء من القرآن و علومه و انتهاء بعلوم الحساب و الفلك. و لكثرة شيوخه الذين فاقوا الثمانية عشر شيخا كما ذكر في فهرسته، نكتفي بإيراد أهم من أخذ عنهم علوم الحديث أو أسانيد أحاديث نبوية شريفة مسلسلة أو غيرها، على أساس أن نخصص في ما بعد تفصيلا لمشيخة ابن غازي و مروياته الحديثية عنهم. و من أبرز شيوخه في علم الحديث نجد:

- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم من سلالة محمد النفزي الحميري الشهير بالسراج.
- القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي.
- الفقيه أبي عبد الله محمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي.
- أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ أبو عبد الله بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني المكناسي.
- أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسي.
- أبو عبد الله محمد ابن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي.
- أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي المصري.

و غيرهم كثير، نكتفي بمن ذكرنا تفاديا للإطناب، و يكفي الرجوع إلى فهرسته المسماة" بالتعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و الناد" لمعرفة قيمة و تعدد المعارف التي أخذها و حجم العلماء الذين أخذ عنهم و جلس في حوزتهم.

[10] سلوة الأنفاس، الكتاني، ج2، ص 83 و 85.

ث) تلامذته:

يعتبر ابن غازي فريد عصره و مصره، و لكثرة الذين أخذوا منه و تتلمذوا له و سمعوا منه لقبه بعضهم بشيخ الجماعة، حتى قال التنبكتي:" أخذ عنه خلق لا يحصون"[11].و من تلامذته الذين اشتهروا في مختلف علوم الشريعة و العلم نذكر:

- أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيي الونشريسي (955 هـ) [12]،كان ابن غازي يقدمه على أقرانه.
- أبو العباس أحمد بن علي بن قاسم الزقاق الفاسي (932 هـ)، ابن الفقيه المشهور صاحب لامية الزقاق.
- أبو العباس محمد بن محمد بن أحمد بن غازي المعروف بغازي (943 هـ) و هو ابن الشيخ ابن غازي، و أحد ولديه المذكورين بالرواية التي أجاز له و لجماعة معه بجميع ما اشتملت عليه فهرسته و ذيلها.
- أبو الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري الفاسي (951 هـ)، لازم ابن غازي تسعا و عشرين سنة.
- أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الشهير بالدقون (921 هـ)كان من أصحاب ابن غازي و كليهما أخذا عن أبي عبد الله الصغير.
- أبو علي الحسن بن عثمان التاملي الجزولي (932 هـ) و هو من أصحاب ابن غازي، اشتهر تأثيره ببلاد سوس[13].
- أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي الفاسي (930 هـ) صحاب الوقف القرآني الذي ارتضاه المغاربة وقفا في قراءة ورش عن نافع من طريق الأزرق، و قد ذكر بعض المتأخرين أن هذا الوقف إنما أخذه عن شيخه ابن غازي.

ج) مؤلفات ابن غازي:

لابن غازي مؤلفات كثيرة و آثار علمية مشهورة، ذكرها في فهرسته، و هي:

- إنشاد الشريد من ضوال القصيد، و هو أكثر كتب ابن غازي شهرة، حيث يعتبر تذيلا و شرحا و تقريرا لمتن الشاطبية في القراءات، و يمثل هذا الكتاب اختيارات ابن غازي و شيخه الصغير في الأداء للقراء السبعة من طرق الشاطبية و التيسير.
- تفصيل عقد الدرر لابن بري، عبارة عن نظم فصل فيه ما أجمله ابن بري في عقد الدرر اللوامع في طرق قراءة نافع.

[11] نيل الابتهاج، التنبكتي، ج2، ص 272.

[12] توفي سنة 955 هـ، انتهت إليه رئاسة العلم بفاس في عصره، و كان أحب التلامذة إلى ابن غازي.

[13] درة الحجال، لابن قاضي، ص 124.

- منية الحسّاب، و هو عبارة عن نظم لكتاب ابن بناء المراكشي في الحساب المسمى" تلخيص الحساب في عمل الحساب"

- تحرير المقالة في مهمات الرسالة، و هو عبارة عن نظم لكتاب الرسالة لأبي زيد القيرواني جمع فيه نظائر و أشباه الرسالة.

- التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و الناد، و هو عبارة عن فهرسة ضمنها تراجم لشيوخه و أهم ما أخذه عنهم، و كان سبب تأليفها تلبية طلب إجازة وردا عليه من تلمسان. و لنا وقفة تفصيلية معها في متن هذا البحث.

- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، و هو عبارة عن كتاب تاريخي أورد فيه أوصافا جغرافية و سكانية و حقائق تاريخية و علمية لمكناسة و بعض أعلامها.

- شفاء الغليل في حل مقفل خليل، و هو عبارة عن شرح لمنظومة الخليل في الفقه.

- الكليات في الفقه، و هو عبارة عن تقعيد فقهي لمسائل الأحكام في الفقه المالكي.

- إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب، و هو تكملة لشرح الزركشي المسمى التنقيح، و قد ذكر في شرحه ما أغفله الزركشي و لم يوفق إليه. و لنا وقفة معه باعتباره أحد الآثار العلمية التي يمكن من خلالها تلمس جهود ابن غازي في خدمة الحديث النبوي الشريف.

- الفوائد المستخرجة من حديث " يا أبا عمير ما فعل النغير"[14]، و هي فوائد بلغت قرابة مائتي فائدة استنبطها من هذا الحديث الشريف، و قد أشار إلى هذه الفوائد في كتابه الروض الهتون[15]. و سنقف عندها وقفة أيضا باعتبار تعلقها بموضوع بحثنا.

و هناك مؤلفات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها كلها، غير أن الملاحظة الأساسية التي يمكن أن نستخلصها من خلال تأمل مختلف هذه المؤلفات هو مدى موسوعية ابن غازي و تبحره في مختلف علوم الشريعة، خصوصا علم القراءات و الفقه، و لا أدل على ذلك موضوعات مؤلفاته.

ح) مميزات عصره:

[14] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء برقم 5778. و مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، برقم 2150.

[15] انظر: الروض الهتون، ص 41.

من الأمور التي تعيننا على استيعاب إسهامات ابن غازي و قيمتها، النظر إلى السياق الزمني و الظروف المحيطة بعصره و مصره، فقد كان لزمن ابن غازي وظيفة مهمة في الدفع بتوجهه العلمي و اهتمامه الشرعي. فهو كما يظهر من الفترة التي عاشها قد عصار ثلاث دول سادت بلاد المغرب و هي الدولة المرينية و الدولة الوطاسية ثم الدولة السعدية[16]. و هو أمر ساهم في تقديم عالم من طينة فريدة تميزت بالموسوعية و التجذر في واقع الأمة و الاهتمام بما يبني و يؤسس لنهضتها و تجاوز أخطائها، و هو منهج واضح تدل عليه طبيعة مؤلفاته و منهجه في التأليف، فهو لم يكن يؤلف إلا لحاجة تدعو إليها الضرورة المعاشة، و لم يسعى إلى التأليف لأجل التأليف.

كما تميز عصره بضعف المسلمين عموما و تشتت قواهم، و لا أدل على ذلك كثرة تعاقب الدول على الحكم، و هو أمر أثر بشكل سلبي على وحدة الأمة مما جعل حرمة أراضي المسلمين و بلادهم مستباحة أمام الغازي المسيحي. كما أضر بشكل كبير أيضا على الحركة العلمية و على الإنتاج الشرعي. الأمر الذي يدفعنا للقول بأن ابن غازي كان استثناء عصره لحجم ما تركه و ألفه و قدمه خدمة للأمة.

خ) وفاته:

ظل ابن غازي إمام أهل فاس و عالمهم، و شدت إليه الرحال من مختلف أقطار الغرب الإسلامي و إفريقيا، و لم يشغله ذلك عن معركة الجهاد فكان محرضا على الجهاد و سباقا إليه، فكانت خطبه في جوهرها محرضة على الجهاد. رابط بنفسه في ثغور المسلمين مرات كثيرة كان آخرها، ذهابه لقصر كتامة من أجل الرباط بها قصد التصدي لهجوم المسحيين لكنه في طريقه مرض فرجع إلى فاس و استمر به المرض إلى توفي سنة 919 هـ، و دفن بعدوة الأندلس بفاس. و لسنا نذكرهذا الجانب من سيرة الرجل اعتباطا، بل قصدنا أن نستدل على ما جرت به سنة الله في اصطفاء علماء خلص له يحملون هذا العلم و يدافعون عنه، فكان جزاء الله له أن خلد اسمه و جعله من علماء أهل هذا القطر و نجومه التي أضاءت سماء العلم و المجد. فرحم الله ابن غازي و أسكنه فسيح جنانه.

د) شهادات العلماء فيه:

لقد كان لمكانة ابن غازي العلمية و آثاره الملموسة على الحياة العلمية بأرض المغرب سببا في تأثر العلماء و عامة الناس برحيله، فثنا عليه العلماء و تلامذته ثناء جمّاً، لا يتسع المقام لاستقرائها كلها، لهذا نكتفي بأهمها. قال عنه الونشريسي:"

[16] إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب، ص 5.

شيخنا الإمام العالم الأصير السيد، كان إماما مقرئا مجودا، صدرا في القراءات، آخر المقرئين و خاتمة المحدثين"[17]. و قال عنه التنبكتي:" شيخ الجماعة و خاتمة علماء المغرب، و آخر محققيهم، ذو التصانيف العجيبة"[18]. و قال ابن عسكر:" له الشأن الذي لا يدرك، و فضائله أكثر من أن تحصى، و علومه أعظم من أن تستقصى"[19]. و قال عنه الحجوي:"كان صدرا في القراءات و التجويد عارفا بوجوهها، و صدرا في الحديث و رجاله و التفسير و الفقه و رياضي كبير، كانت تشد إليه الرحلة في الأقطار الإفريقية"[20]

و بهذه الشهادات و غيرها يمكن أن نخلص إلى أن ابن غازي فريد مصره فهو على كثرة معارفه و تنوعها استطاع أن يبدع في كل ما ألف و يؤسس مدرسة علمية باقية ثمراتها في الأجيال و في كل البقاع إلى يوم القيامة إن شاء الله.

---

[17] كفاية المحتاج، ج1، ص 218.

[18] نيل الابتهاج، ج1، ص 272.

[19] دوحة الناشر، لابن عساكر، ص 38.

[20] الفكر السامي، للحجوي الثعالبي الفاسي، ج4، ص 100.

2- مظاهر عناية ابن غازي بالحديث النبوي الشريف و جهوده في خدمته.

يعتبر ابن غازي أحد رواد التجديد في عصره و مصره، تدل على ذلك سيرته التي عرضنا أهم معالمها، و أيضا مسيرته التي ختمت بجهاده المستمر و مرض في رباط كان يرابط فيه على ثغور شمال المغرب الأقصى صدا لغارات الإسبان و البرتغاليين ليرجع إلى مدينة فاس و يتوفى بها.

لعلنا لا نبالغ إن قلنا أن أي منصف لا يماري في الرتبة العلمية الرفيعة التي بلغها رحمه الله. و من أدرك المنزلة العلمية الرفيعة التي وصلها ابن غازي سيتملكه العجب من قلة ما سطر عنه و وجازة ما ألف حوله رغم موسوعيته و قوة معرفته و عمق مؤلفاته. و قد كان له في علم الحديث كما سائر العلوم إسهام جليل و خدمة كبيرة يستحق بها مكانة أكبر و اهتماما أكثر. و سنحاول عرض معالم و مظاهر تلك العناية التي أولاها ابن غازي لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم رواية و دراية، عبر تناول مؤلفاته الحديثية و استخراج أهم هذه المعالم و المظاهر من خلالها. لنحاول بناء على ذلك استخلاص منهجه العام و مقومات الخدمة العلمية التي قدمها ابن غازي المكناسي للحديث النبوي الشريف و علومه.

1- مؤلفات ابن غازي في علم الحديث:

أفرد ابن غازي كما بينا الكثير من الكتب في الحقول المعرفية الشرعية المتعددة، و قد أفرد الحديث النبوي و ما يتعلق به من علوم و مباحث بمؤلفات سواء على مستوى الدراية أو الرواية، و هي:

1- كتاب إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب، و هو كما سبق و أشرنا تكملة لشرح الزركشي المسمى التنقيح، و هو من أبرز ما تركه ابن غازي في علم الحديث. فهو كتاب يمكن من خلاله تلمس منهج ابن غازي في فقه الحديث و علم الدراية و منهجه في شرح الحديث.

2- كتاب مستنبطات من حديث " يا عمير ما فعل النغير" و هو كتاب لم أقف على مضمونه، غير أن من ذكره من المحققين أشار إلى أن ما استنبطه ابن غازي من هذا الحديث بلغ ما يقرب من مائة فائدة، و هذا دليل على قدرة ابن غازي على الاستنباط و على إدراك فقه الحديث و استخراج معانيه الكثيرة و العديدة.

3- "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و الواد"، و أقل ما يمكن أن يقال عن هذا الكتاب أنه كتاب كثير المنفعة، فقد ذكر ابن غازي في متنه الكثير من الأسانيد التي وصلته لكثير من الكتب و المؤلفات خصوصا الحديثية منها. و ساهمت في حفظ كثير من أسانيد الأحاديث الصحيحة المسلسلة، بالإضافة إلى أسماء و صفات كثير من العلماء و المشايخ و المحدثين و المسندين.

و سنقف عند الكتاب الأول و الكتاب الثالث وقفة نفصل فيها بعض ما يتعلق بهما على مستوى المحتوى و المنهج.

❖ كتاب" إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب":

يعتبر كتاب "إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب" من أهم الكتب الحديثية التي ألفها ابن غازي و التي تبرز بوضوح منهجه و جهوده في خدمة علم الحديث النبوي، و لمكانة هذا المؤلف لزم الوقوف معه وقفة تحليلية و استقرائية في محاولة لكشف منهجه و بيان مظاهر خدمته للحديث النبوي الشريف.

لقد سعى ابن غازي في هذا الشرح أن يشرح ما لم يشرحه الإمام الزركشي في كتابه التنقيح[21]، متجنبا البسط و التطويل إلا فيما يحتاجه المقام توضيحا و توسيعا. و قد اكتفى في شرحه على ما هو أهم، انسجاما مع منهجه العام الذي يتجنب التكرار و ما لا فائدة منه. و قد أغنى شرحه شرح الزركشي و كمّل نقصه. و اعتمد لذلك على مجموعة من المصادر الحديثية التي أغنت مادته و أظهرت مدى تمكنه و موسوعية مداركه و قوة اطلاعه على الشروح من مظانها، و أهم هذه المصادر نجد:

1- شرح أبي الحسن علي بن خلف بن بطال الذي يعتبر أهم شروح البخاري، وقد أفاد منه ابن غازي كثيرا خصوصا في ما تعلق بالأحكام الفقهية المستنبطة من الأحاديث الواردة في الصحيح.

2- " فتح الباري على صحيح البخاري"، الذي يعتبر أهم و أغنى الشروح التي شرحت أحاديث صحيح البخاري.

3- حاشية المازري على أحاديث الجوزقي[22] و التي اشتهرت باسم الأمالي.

4- " هدي الساري" و هو مقدمة كتاب ابن حجر المسمى الفتح.

كما استعان ابن غازي بمصادر حديثية أخرى كالموطأ، و صحيح مسلم، و دلائل النبوة لأبي نعيم، و سيرة ابن اسحاق، و شرح سليمان الخطابي على صحيح البخاري، و شرح البخاري لابن المرابط، و شرح الباجي على الموطأ، و تقييد المهمل لأبي علي الجياني، و مشارق الأنوار للقاضي عياض، و الخبر الفصيح بقواعد مسند البخاري الصحيح للسفاقسي، و شرح النووي على صحيح مسلم، و التوضيح بمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك.. و تدل كثرة المصادر و الشروح التي

[21] يعني كتاب " التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح" و هو مختصر من شرح الزركشي الكبير على صحيح البخاري.

[22] هذا الكتاب هو "المسند الصحيح على كتاب مسلم"، و للإمام المارزي أيضا كتاب اسمه " المعلم بفوائد صحيح مسلم".

اعتمدها ابن غازي على عمق الشرح الذي قدمه و تنوع مناهجه و قوة مقارنته في اختيار الأجدى و الأقوى في الشرح و البيان.

و من خلال هذا ما تقدم و من خلال دراسة هذا الكتاب يمكن أن نتلمس معالم عامة في منهج ابن غازي في تناول قضية شرح المؤلفات الحديثية.

- قوة اطلاع ابن غازي على الكتب الحديثية و الكتب المتعلقة بالشروح، يظهر ذلك في توظيف جملة من هذه المصادر في تكميل شرح التنقيح.
- أمانته العلمية و دقة عزوه للكلام، إذ كان بمقدور ابن غازي ان يحاول التوفيق بين أقوال الشراح و يختار ما يراه قويا ثم ينسبه إليه، لكن الذي حصل أنه حتى لو انتصر لرأي و قواه بدليل لم ينسبه إلى نفسه بل عزاه إلى صاحبه و هو من خصال الأدب العلمي و التواضع المعرفي الذي ميز ابن غازي عموما.
- ابتكاره لطريقة الترميز حتى يجنب التطويل و التكرار و يلتزم الاختصار و الإفادة، و يسهل عليه إحالة الكلام إلى صاحبه دون إطناب أو تقصير، ليسهل على القارئ معرفة صاحب القول و الرأي.
- تصحيحه لبعض أخطاء الشراح و التعقيب على كلامهم دون جرح أو تنقيص، و من جملة من صحح لهم ابن حجر العسقلاني صاحب الفتح.
- إلمام ابن غازي بمشكلات السند، إذ تكلم على بعض القضايا المتعلقة بالسند و العلل التي أغفلها الإمام الزركشي في شرحه التنقيح.
- شرح الأحاديث التي رأى أن من سبقه من الشراح لم يستنفذوا شرحها كاملة أو قصروا في بيان بعض أوجه الشرح.
- الاهتمام بالجمع بين الأحاديث المتعارضة، و تأويل مختلف الأحاديث إن تعذر الجمع، لبين إمكانياته الاجتهادية و قدرته العميقة في استحضار مختلف المباحث المتعلقة بفهم النص و شرحه.

❖ كتاب " التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و النادي".

اهتم المغاربة و الأندلسيون عموما بمسألة التأليف في الفهارس و الأثبات و المعاجم و المشيخات[23]، و هي الكتب التي يسجل فيها الراوي مروياته و إجازاته و الكتب التي قرأها على مشايخه.

و المقصود برواية الكتب الحديثية: الهيئة التي تنقل بها الكتب الحديثية عن مصنفيها بواسطة أحد تلامذته بطريقة من طرق الرواية، كالسماع من لفظ المؤلف أو أحد تلامذته، أو القراءة على الشيخ أو الراوي، أو الإجازة، أو المناولة، أو الكتابة، أو الوجادة.[24]

و قد كان ابن غازي من طينة العلماء المسندين الذين سعوا لإثبات أسانيدهم للكتب التي أخذوها عن شيوخهم ، فألف لذلك الغرض كتابه الفهرسة الذي سماه "كتاب التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و النادي"[25]، و ذكر فيه الكثير من الأسانيد المتصلة بشيوخه الذين أخذ عنهم و تتلمذ على يدهم، و التي تصل أسانيدهم حتى اسم مؤلف الكتاب الذي أجيز فيه، بالإضافة إلى الكثير من المرويات الحديثية و العلمية التي أخذها عن شيوخه و قد ذكر سبب تأليفه لهذا الكتاب في أن أهلا من تلمسان طلبوا منه إجازة لمروياته، فكان هذا الكتاب لغاية إجازتهم.

افتتح ابن غازي فهرسته بذكر حديث الأولية، ثم ترجمة مشايخه الثمانية عشر شيخا الذين سمع منهم و تتلمذ على يدهم و أجازوه لرواية مروياتهم، ثم ذكر المرويات و المسلسلات التي رواها عنهم.

و يمكن رصد جملة من معالم منهج ابن غازي في طلب الإجازة لرواية المرويات المسندة عن مؤلفيها و أخذ الأحاديث عنهم من خلال فهرسته، و لمزيد بيان هذا المنهج سنقف أولا على أهم الكتب الحديثية و كتب علوم الحديث بالإضافة إلى الأحاديث المسلسلة و غيرها التي ذكر أنه أسند في روايتها من شيوخه. حيث سنسعى لذكر أهم الكتب الحديثية بمؤلفيها ثم نذكر تحت كل عنوان كتاب شيوخ ابن غازي الذين أجازوه فيه. و الغاية من ذلك إبراز قوة حضور علم الحديث و مباحثه المختلفة و كتبه الأساسية في تكوين ابن غازي و اهتمامه و مسيره في طلب العلم.

صحيح الإمام البخاري.

---

[23] تختلف مسميات هذا النوع من التآليف، فمنها البرنامج و الفهرس و المشيخة و المعجم و الثبت و السند و التقييد. أنظر: كتب البرامج و الفهارس الأندلسية، هاني العمد، المركز التقني للخدمات المطبعية بدعم من الجامعة الأردنية، 1993م، ص 14.

[24] تعدد روايات الكتاب الحديثي و أثره، محمد بازمول، ص 4، نقلا عن مقدمة ابن الصلاح ج1، ص 619.

[25] عند القرافي: التعلل برسوم الإسناد بعد أجل المنزل و النادي.

أجازه فيه شيخه السلوي الذي أخذ عن شيخه الشمني[26]، و قد ذكر الشمني للسلوي أن بعض أسانيده[27] في رواية صحيح الإمام البخاري متصل بالسماع إسنادا عاليا لا يوجد اليوم أعلى منه.

رواه أيضا عن شيخه المبارك أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم من سلالة محمد النفزي الحميري الشهير بالسراج من طريق الفربري.

و أخذه مسندا عن شيخه القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الوريالجي صحيح الإمام البخاري من طريقه.

و أجازه شيخه أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسي في روايته.

و قرأ على الشيخ المحقق أبو الفرج محمد ابن محمد بن موسى بن أحمد الطنجي صحيح البخاري و أجازه فيه.

و أخذ عن المحدث أبو محمد عبد القادر زين العابدين بن عبد الوهاب البكري المقدسي الشافعي الذي قدم بلاد المغرب سنة 880 هـ، و ورد على مدينة مكناسة صحيح البخاري من طريق ابن حجر.

كما أجازه الشيخ الديمي المصري في رواية جميع الصحيح .

أما الشيخ الإمام المسند المكثر أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي المصري القاهري الشافعي فقد أخذ عنه إجازة مكتوبة لرواية الصحيح بسند ابن حجر.

أخذ إجازة مكاتبة عن الشيخ الإمام المسند المحدث أبو عبد الله محمد ابن أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي برواية الصحيح.

صحيح الإمام مسلم.

أخذ أيضا عن السلوي إجازة في رواية صحيح الإمام مسلم.

وأجازه في روايته أيضا الشيخ عن أبو عبد الله السراج.

كما أخذ عن شيخه القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الوريالجي صحيح الإمام مسلم.

و أجازه شيخه أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسي في رواية كتاب صحيح مسلم من طريق الفراوي.

---

[26] الفهرس، ص 43.

[27] رواية السرخسي عن الفربري.

قرأ على الشيخ المحقق أبو الفرج محمد ابن محمد بن موسى بن أحمد الطنجي صحيح مسلم.

أخذ عن المحدث أبو محمد عبد القادر زين العابدين بن عبد الوهاب البكري المقدسي صحيح الإمام مسلم من طريق شهاب الدين ابن حجر.

أجازه الشيخ الديمي المصري في رواية جميع صحيح الإمام مسلم.

موطأ الإمام مالك:

أخذ عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي[28]، و سمع عليه كثيرا من الموطأ رواية يحي الليثي ضبطا لمتنه و تفقها فيما لابد منه.

أخذ عن أبو عبد الله السراج أيضا كتاب الموطأ برواية يحيى بن يحيي الليثي و رواية القعنبي.

أخذ عن شيخه القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الوريالجي موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيي الليثي.

روى عن شيخه أبو عبد الله محمد بن يحيي البادسي[29] كتاب الموطأ و قد ذكر أن شيخه أخبره أن هذه الرواية من طريق عالية السند لا يوجد على بسيط الأرض أعلى منها[30].

أخذ عن المحدث أبو محمد عبد القادر زين العابدين بن عبد الوهاب البكري المقدسي موطأ الإمام مالك.

أجازه الشيخ فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الدِّيَمي المصري في الكثير من المرويات كجميع الموطإ من رواية يحيي الليثي و رواية أبي مصعب الزهري و رواية سويد الحدثاني و رواية عبد الله بن وهب المصري و رواية عبد الله بن يوسف و رواية عبد الله القعنبي و رواية التيمي و رواية الشافعي و رواية غازي بن قيس القرطبي و غيرها من الروايات.

و أجازه شيخه أبو عبد الله بن مرزوق مكاتبة برواية موطأ الإمام مالك برواية يحيي بن يحيي الليثي.

كتاب السنن لأبي داود:

---

[28] ينسب إلى قورة و هي منطقة قرب إشبيلية بالأندلس.

[29] توفي في 894.

[30] فهرس ابن غازي، ص 117.

أجازه في روايته شيخه السلوي. و أيضا أجازه مكاتبة لروايته الإمام السخاوي. و أجازه في روايته أيضا المحدث أبو محمد عبد القادر البكري المقدسي

أجازه في روايته أيضا الشيخ فخر الدين أبو عمرو عثمان الديمي المصري.

كما أخذ عن الشيخ المسند أبي عبد الله محمد بن مرزوق رواية كتاب السنن لأبي داود.

كتاب الجامع للإمام الترمذي:

أجازه في روايته الشيخ السلوي. و أخذه أيضا عن الشيخ أبو محمد عبد القادر البكري المقدسي.

أجازه في روايته أيضا الشيخ فخر الدين أبو عمرو عثمان الديمي المصري. و أجازه مكاتبة في روايته الإمام السخاوي

و أجازه أيضا في روايته الإمام السخاوي مكاتبة.

كما أخذ عن الشيخ المسند أبي عبد الله محمد بن مرزوق رواية كتاب الجامع.

كتاب السنن لابن ماجة:

أجازه في روايته الشيخ السلوي. و أخذه عن الشيخ أبو محمد عبد القادر البكري المقدسي.

أجازه في روايته أيضا الشيخ فخر الدين أبو عمرو عثمان الديمي المصري.

و أجازه مكاتبة الإمام السخاوي لروايته.

كما أخذ عن الشيخ المسند أبي عبد الله محمد بن مرزوق رواية كتاب السنن لابن ماجة.

كتاب السنن للإمام النسائي:

أجازه فيه المحدث الشيخ أبو محمد عبد القادر البكري المقدسي.

أجازه في روايته أيضا الشيخ فخر الدين أبو عمرو عثمان الديمي المصري.

و أجازه مكاتبة الإمام السخاوي في رواية السنن الكبرى و السنن الصغرى للنسائي.

كتاب مسند الإمام أحمد:

أخده عن الشيخ أبو محمد عبد القادر البكري المقدسي.

أجازه في روايته أيضا الشيخ فخر الدين أبو عمرو عثمان الديمي المصري.

كتب حديث متفرقة:

أجازه شيخه أبو عبد الله النفزي المشهور بالسراج في كثير من الكتب الحديثية ككتاب الملخص في مسند الموطأ من رواية ابن القاسم تخريج القابسي، و كتاب "الأربعة الأحاديث التي هي أصول الإسلام و مدار العلم عليها و سائر السنن غير خارج عنها بطرقها و وجوهها" للحافظ أبو عمرو الداني.

و أخذ عن السلوي صحيح ابن حبان المسمى بالتقاسيم و الأنواع.

أخذ عن المحدث أبو محمد عبد القادر زين العابدين بن عبد الوهاب البكري المقدسي الشافعي كتاب الأربعين حديثا للإمام النووي، و أيضا كتاب السنن للبيهقي، و مسند الدارمي و مسند عبد بن حميد الكشي.

أخذ مكاتبة عن الشيخ الإمام المسند أبي عبد الله السخاوي إجازة مكتوبة في الكثير من المرويات و الكتب و الأسانيد، منها مسند الإمام الشافعي، و مسند الإمام أبو حنيفة تصنيف الحارثي، و مصنفات الإمام النووي.

أخذ عن أبي عمرو عثمان الديمي المصري مسند الدارمي و مسند عبد بن حميد الكشي و كتاب السنن للبيهقي، و جميع مؤلفات الإمام النووي.

كتب علوم الحديث:

أجازه شيخه أبو عبد الله النفزي المشهور بالسراج في رواية كتاب " التقصي لما في الموطأ من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم مسنده و مرسله و مقطوعه و بلاغه لأبي قمر ابن عبد البر".

أخذ عن فخر الدين أبي عمرو عثمان الديمي المصري كتاب "علوم الحديث" لابن الصلاح، و ألفية العراقي من رواية ابن حجر، و جميع تصانيف ابن حجر و غيرها من المرويات و المصنفات التي ترتبط بعلم الحديث.

و أخذ عن أبي عبد الله السلوي من طريق أبي الشامل كتاب " علوم الحديث" لابن الصلاح.

كما أجيز من الإمام السخاوي لرواية كتبه الكثيرة و التي تدور في معظمها حول الحديث و علومه و نقد رجاله و ترجمة رواته و أعلامه[31]، منها كتاب علوم الحديث لابن الصلاح.

عنايته بالأحاديث المسلسلة:

أخذ عن شيخه الثبت الواعية أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ أبو عبد الله بن محمد بن يحي بن جابر الغساني المكناسي، الحديث المسلسل بالمصافحة و المروي من طريق الخضر[32].

روى عن شيخه المبارك أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم من سلالة محمد النفزي الحميري الشهير بالسراج إجازة عامة في جميع مروياتها التي من بينها الحديث المسلسل بالأوّلية، و الحديث المسلسل بالسؤال عن الاسم و توابعه.

و أسنده الإمام السخاوي مكاتبة في أحاديث كثيرة، منها حديث من عُشَارِيّاته الذي فيه شعر أنشده أبو جرول زهير بن صرد الجشني لما أسره النبي عليه الصلاة و السلام يوم حنين و هو سند قال فيه السخاوي أنه من أعلى ما وقع له. كما أسنده في الحديث المسلسل بالمحبة، و الحديث المسلسل بكيف لو أدركت عائشة زماننا هذا[33]، و الحديث المسلسل بقراءة آية " سبح لله ما في السموات و الأرض" كاملة، و التي أخبر السخاوي عن أن سنده سند صحيح. وأسنده في الحديث المروي من طريق أحمد عن الشافعي عن مالك، و الحديث المسلسل بالمشابكة، وغيرها من الأحاديث التي أجازه فيها عالم عصره الإمام السخاوي.

معالم منهج ابن غازي في كتابه التعلل:

عموما ساهمت رواية الكتب الحديثية في المحافظة على السنة الصحيحة، و المحافظة على تواترهما في الأمة و صيانة نصوص أحاديثها و سلامتها من التصحيف و التحريف و النسيان، و قد كان لهذه الكتب الحديثية روايات اشتهرت في الأمصار و الأزمان، كان للمغاربة نصيب وافر منها خدموا بها السنة النبوية الطاهرة. فمثلا كانت روايات صحيح الإمام مسلم قليلة بسبب قلة رواتها، و لم تظهر إلا في القرن الثالث الهجري، و كانت أشهر رواية هي رواية أبي اسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان (308 هـ)، غير أن أهل المغرب تفردوا برواية صحيحة لصحيح مسلم، و في هذا يقول ابن الصلاح: " هذا الكتاب- صحيح مسلم- مع شهرته التامة صارت روايته بإسناد متصل بمسلم مقصورة على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد

[31] من هذه الكتب التي ذكره ابن غازي: عمدة القارئ و السامع في ختم الصحيح الجامع، غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج، النكت على الألفية الحديثية و شرحها، و القول المرتقى في ترجمة االبيهقي...

[32] الفهرس، ص 85.

[33] الفهرس، ص 159.

بن سفيان، غير أنه يروى في بلاد المغرب مع ذلك عن أبي محمد أحمد بن علي القلانسي مسلم"[34] و هنا أثبت ابن الصلاح تفرد أهل المغرب برواية لصحيح مسلم دون أهل المشرق، و في ذلك إظهار لمكانة المغاربة المحدثين في المحافظة على رواية الكتب الحديثية.

و في هذا السياق تبرز قيمة فهرست ابن غازي من خلال اعتبارها من أهم الفهارس المشهورة في بلاد المغرب الأقصى في القرن العاشر. إذ بها حفظت الكثير من الأسانيد و الكثير من أسماء و تراجم الشيوخ المغاربة و كثير من الطرق المسندة لكثير من الكتب الحديثية، و من خلال ما تقدم يمكن إبراز مظاهر اهتمام ابن غازي بالحديث النبوي من خلال كتاب التعلل في ما يلي:

- عنايته بتنويع طرق تحمله للمرويات و الكتب، فقد أخذ عن مشايخه بطريقة السماع، و طريقة العرض و القراءة أمام الشيخ، كما أخذ الإجازة بالمكاتبة من شيخه السخاوي.

- تنويع الإجازات في الكتاب الواحد، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحرص الشديد من ابن غازي على تنويع الطرق و تثبيت المصادر و ضمان صحة نسبتها إلى أصحابها.

- كثرة الكتب الحديثية التي طلبها و أخذها عن مشايخه، دليل على سعة اطلاعه و معرفته بكتب الحديث.

- اهتمامه بأمهات كتب الحديث خصوصا الصحيحين و الموطأ، و لهذا كثر أخذه و كثرت إجازته في هذه الكتب و مروياتها تحصينا لإسنادها و تقوية لمتنها.

- سماعه الحديث و حضوره لمجالس كبار المحدثين، و كتابته للحديث، و طلبه للسند في المرويات الحديثية، و حفظ أسانيد بعض الكتب و روايتها، و حرصه على السند و لو مكاتبة دليل على حضور علم الحديث في تكوين ابن غازي العلمي و استشعاره لأهمية علم الحديث و موقعه الأساسي داخل العلوم الشرعية، و هو الذي كان عالما بالقراءات متفردا فيها.

- التحديث و كتابة الحديث، فإجازته لمن طلب منه الإجازة من أهل تلمسان دليل على تحديثه بمروياته و على اعتبار العلماء له، و إلا لما طلبوا منه الإجازة.

[34] صيانة صحيح مسلم، ص 106.

- إجازته من كبار العلماء كالسخاوي و ابن مرزوق و الديمي و غيرهم تزكية ضمنية لابن غازي و اعتراف منهم بمكانته.

- اهتمامه بعلوم الحديث المختلفة ككتاب علوم الحديث لابن الصلاح أو ألفية الإمام العراقي أو كتب ابن حجر في الباب، توسيع منه لمداركه و اعتراف منه بضرورة تملك الوسائل العلمية الكفيلة بالاجتهاد و تحصيل علوم الكتب الحديثية.

- اهتمامه بالأحاديث المسلسلة ربما غرضه تحصيل السند الصحيح المتصل بكبار الأئمة تبركا و تعلما و تكريسا لمبدأ السند الذي كان يعتبر أحد مقاييس العلم و القدرة على الاجتهاد.

خاتمة:

للمغاربة نصيب كبير من رواية الحديث و اهتمام كبير به، فرغم أن نشأة علوم الحديث بالمشرق و بداية روايته كانت به، إلا أن المغاربة بعد القرنين الأول و الثاني أكثروا من روايته فنقلوا الكثير من كتب الحديث إلى المغرب، فحفظت لأجل ذلك مشيخاتها و رحلاتها و أسانيدها. و لعل الإمام ابن غازي من هؤلاء الذين أبانوا على مكانة رواية الحديث و درايته عند علماء المغرب من خلال مؤلفه التعلل، كما كرس باجتهاده في شروح الحديث و استنباط المعاني و الأحكام من الأحاديث النبوية قدرة المغاربة عموما على خدمة الحديث النبوي شرحا و استنباطا و رواية.

و ما سبق يبين بجلاء و وضوح مظاهر و تجليات خدمته للحديث النبوي الشريف. فكتابه الأول الذي سماه " إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب" كتاب بين كيف تعامل ابن غازي مع شروح الحديث و بين موسوعيته و قدرته على استنباط الفوائد الجمة من الحديث النبوي لكن بطريقة تنبع من منهج مقارن يحاول فيه التوفيق بين الشروح السابقة و تجويد مضامينها دون الحاجة إلى إنتاج شروح جديدة منسوبة إليه لن تكون سوى تكرار لما سبقه. أما كتابه الثاني المتعلق بالفهرست فهو كتاب قيمته تثبت بحجم الأسانيد و المرويات التي حفظ لنا بها طرقها الصحيحة و التي أظهرت حجم اعتناء المغاربة عموما بالرواية الحديثية و اهتمامهم الخاص بكتب الحديث الصحاح كصحيح البخاري و صحيح مسلم و الموطأ و كتب السنن و غيرها.

إن ما تقدم من عناصر البحث يمكننا من استخلاص العناصر التالية:

- قلة الكتب التي ألفها في مجال علم الحديث، فلو استثنينا كتاب التعلل بناء على سياق كتابته و هو طلب أهل تلمسان للإجازة مكاتبة، لبقي مؤلفان في باب ما يتعلق بعلوم الحديث. و هو أمر نجده سمة طاغي حتى في باقي ضروب العلوم، و هو ما سنشير إليه في الخلاصة الثانية.

- يحكم على الإنتاج العلمي لابن غازي في علم الحديث منهجه العام في باقي العلوم ، و هو منهج قائم على تهذيب و تكميل الموجود دون الحاجة إلى التأليف. إذ إن ابن غازي يخوض في كل فن، و كل مؤلف من مؤلفاته يحتاج إلى وقفة علمية تبرز مكانته. و مع ذلك نراه أبعد ما يكون عن الانكباب على شرح كتاب متقدم. و لهذا لم تكن مؤلفاته إلا تكميلا أو تحليلا أو تبسيطا لما سبقه من الشروح و المؤلفات، أو بسطا لموجز أو حلا لمقفل في شرح أو مختصر.

- يمكن تلمس موقف عام لابن غازي من مسألة التعليقات على الشروح و شرح الشروح و الحواشي، و هو موقف الرفض و هو الأمر الذي تترجمه مؤلفاته حيث سعى لتجنب الأمر، و نهج عكس ذلك محاولات لتجديد و تكميل ما يحتاج إلى تكميل و تجديد. فقد رأى ابن غازي الاختصار قد بلغ مالا مزيد عليه، و عوض الاشتغال على تحرير شروح جديدة لها، عمد بدل ذلك إلى أجلّ الشروح الموضوعة سابقا و تصدى لها بالتوجيه و التوضيح و التنقيح، ليستغني الطلاب بما فيها عما قد يأتي بعدها أو يلحق بها، و يقطع دابر الاشتغال بوضع تآليف جديدة تدور في فلك الشروح و الحواشي الموضوعة عليها.. و على هذا المنهج جاء وضع حاشيته على صحيح البخاري المسماة "إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب" تتميما لتنقيح الزركشي، يشرح فيه ما لا شرح له في "التنقيح" على سبيل الاختصار و الاقتصار، و ربما أضاف إلى شرح الزركشي زوائد مفيدة و نكات لطيفة، مع أنه كان يدرس الجامع الصحيح، و هو غير عاجز عن وضع مصنف جامع في شرحه لصحيح البخاري[35].

- استكمالا للخلاصة السابقة يمكن أن نقول أنه على الرغم من أن ابن غازي كان مقلّا في التأليف، إلا أنه في التحرير و حل المبهمات مجيد، و موقفه هذا موقف تجديدي في جانب مهم من جوانب الثقافة، فهو يقول في التطويل فيما لا طائل خلفه:" و أما ما خرج من ألفاظ الشارح عن لفظ المشروح، فلا يكون مني للتنبيه عليه جنوح؛ لأن ذلك مما يطول و يشبه الفضول[36] ".

- اهتم ابن غازي بكتب الحديث عموما، و سعى لطلب الإجازة من رواتها، و كان من جملة ما اهتم به كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري، حتى كان ممن برز في القيام على الجامع الصحيح ببلاد المغرب، فدأب على إسماعه دوريا في شهر رمضان و هي مبادرة عاشت من بعده في بلاد المغرب[37] إلى زماننا هذا و إن كانت قليلة. و قد كانت مؤلفاته شاهدة على ذلك.

- حفظ ابن غازي لأسانيد الكثير من الكتب في علم الحديث و أيضا بعض الأحاديث المسلسلة من خلال فهرسته، فيه إثبات ضمني برفض فكرة أن دار المغرب لم تكن دار حديث و رواية، بل مجموع ما وجد من

---

[35] المقدمة التحقيقية التي كتبها الباحث عبد الله محمد التمسماني في تحقيقه لكتاب " إرشاد اللبيب"، و هو رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية سنة 1400 ، ص 37.

[36] شفاء الغليل في حل مقفل خليل، ابن غازي المكناسي، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب، ج1.

[37] إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب، ابن غازي، تحقيق عبد الله محمد التمسماني، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 1989م- 1409هـ، تصدير محمد المنوني، ص 2.

الطرق و الأسانيد بما فيه رواية تفرد بها أهل المغرب خاصة بصحيح الإمام مسلم يدحض بقوة حكم الإمام الذهبي الذي سبق و تطرقنا إليه في البحث.

إن ما تقدم من خلاصات تركيبية للموضوع، يمكننا من اقتراح مجموعة من التوصيات هي كتالي:

- ضرورة الاهتمام بشكل أكثر بتراث علماء المغرب الأقصى في علوم الحديث.
- إعادة الاعتبار لإنتاجات ابن غازي في مجال الحديث، و دراسته من داخل النسق و المنهج الذي أطر ابن غازي، مع استحضار نظرة شمولية لجميع مؤلفات ابن غازي و محاولة تتبع اجتهاداته في باقي مؤلفاته خصوصا الفقهية منها.
- السعي لاستثمار آثار و آراء العلماء المغاربة في بلورة معالم مدرسة حديثية مغربية لها خصائصها المنهجية و التأليفية.

و في الأخير نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال و أن يكتب لنا هذا العمل أجرا يغفر به لنا و لوالدينا و لأساتذتنا و لمن علمنا. و لا أنسى أن أتقدم بالشكر الخاص إلى أستاذي الكريم محمد زين العابدين رستم.

و الحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر و المراجع:

ابن القاضي، جذوة الاقتباس بمن حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، 1973م.

ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق علوش، الرباط، 1934م.

ابن عساكر، دوحة الناشر.

ابن غازي، إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب، تحقيق عبد الله محمد التمسماني، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 1989م-1409هـ، تصدير محمد المنوني.

ابن غازي، التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل و الوادي، تحقيق محمد الزاهي خريج جامعة السربون، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس.

ابن غازي، الروض الهتون في أخبار مكناسة و الزيتون، الرباط، 1964م.

ابن غازي، شفاء الغليل في حل مقفل خليل، ، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب،.

التنبكتي، نيل الابتهاج.

الذهبي ،الأمصار ذوات الآثار، تحقيق قاسم علي سعيد، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1406-1986.

عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، بيروت، 1961م.

الفكر السامي، للحجوي الثعالبي الفاسي.

القرافي، توشيح الديباج، مخطوطة بمكتبة باريس و تونس.

محمد بازمول، تعدد روايات الكتاب الحديثي و أثره، محمد بازمول نقلا عن مقدمة ابن الصلاح .

المقدمة التحقيقية التي كتبها الباحث عبد الله محمد التمسماني في تحقيقه لكتاب " إرشاد اللبيب"، و هو رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا من دار الحديث الحسنية سنة 1400 ،

هاني العمد، كتب البرامج و الفهارس الأندلسية، المركز التقني للخدمات المطبعية بدعم من الجامعة الأردنية، 1993م.